PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(2): 931-947
ISSN:1553-6939

Manifestations of cultural rejection of the female presence in Algerian society - a sample study of Algerian folk proverbs

Dr. Ferhat Malika[1], Dr. Benachour Siham[2], Dr. BENAROUS Hayat[3], Dr. Benferhat Fatiha[4]

[1]University of Algiers2, Abou El kacem saadallah (Algeria)

[2]University of Algiers2, Abou El kacem saadallah (Algeria)

[3]University of Algiers2, Abou El kacem saadallah (Algeria)

[4]University of blida2 (Algeria)

The Author's E-mail: malika.ferhat@univ-alger2.dz[1], siham.benachour@univ-alger2.dz [2], hayat.benarous@univ-alger2.dz[3] rahildjawad@outlook.fr[4]

Received: 08/2023 **Published: 02/2024**

Abstract:

This article will focus on images of the cultural rejection of female existence through Algerian popular proverbs, by examining manifestations that express the rejection of her gender, starting with her birth and being strict with her, then rejecting her social status by not marrying or being spinsterhood, which is a not-hidden fact that is expressed in various forms, and the most important form that we can come to understand from What leads to this rejection are the common daily expressions or popular proverbs that were spoken in the distant and recent past and which still have an impact in our contemporary lives.

Keywords: cultural rejection, female existence, popular proverbs.

مظاهر الرفض الثقافي للوجود الانثوي عبر الامثال الشعبية الجزائرية دراسة لعينة من الامثال الشعبية الجزائرية

د. فرحات مليكة[1]، د. بن عاشور سهام[2]، د. بن عروس حياة[3]، أ.د بن فرحات فتيحة[4]

1جامعة الجزائر 2 (الجزائر).

2جامعة الجزائر 2 (الجزائر).

3جامعة الجزائر 2 (الجزائر).
4جامعة البليدة 2 (الجزائر).

ملخص:

سيركز هذا المقال على صور الرفض الثقافي للوجود الأنثوي من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية وذلك من خلال تناول مظاهر تعبر عن رفض جنسها بدءا بميلادها والتشدد معها ثم رفض وضعيتها الاجتماعية بعدم الزواج أو العنوسة وهي حقيقة غير خافية يتم التعبير عنها بأشكال متنوعة وأهم شكل نستطيع أن نتوصل من خلاله إلى هذا الرفض هو التعابير اليومية المتداولة أو الأمثال الشعبية التي كانت تلوكها الأفواه في الماضي البعيد والقريب والتي لازال لها وقع في حياتنا المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الرفض الثقافي، الوجود الأنثوي، الأمثال الشعبية.

مقدمة:

تعتبر الثقافة الجزائرية ثقافة ثرية بالتفرعات والمركبات الثقافية، والتراث الشعبي كجزء من المركبات الثقافية، بشقيه المادي والمعنوي يمثل صوت الماضي الذي تحرص المجتمعات على إبقائه، رغم الظرفية المطلقة التي تسير حاضرنا، ورغم التداخلات الثقافية الهائلة، يبقى القاعدة المتينة التي يرتكز عليها وجود المجتمع خاصة الجانب المعنوي منه، المجسد في الخطاب الشفوي، الذي يبرز التمييز الاجتماعي والثقافي للمجتمع، انه كل ما تبقى فهو التاريخ الذي ترويه الجدة إلى أحفادها الصغار هو ذاكرة الشعب الذي يتلقى المخلفات الثقافية شفهيا ويتداولها جيلا بعد جيل، لتعكس فلسفة وواقع المجتمع وثقافته المتجذرة في الأعماق.

ويتضمن الخطاب الشفهي كموروث ثقافي، أشكالا من التعبير الشعبي المتكامل، الذي يشمل كل من الحكاية والقصص والأغاني والألغاز، الأساطير والأحاجي، النكت والبوقالات، الحكم والأمثال الشعبية، والتعرض لأحد أشكال التعبير والخطاب الشفهي، يقودنا إلى الحفر في البناء السوسيولوجي للمجتمع بتناقضاته وتعقيداته، والبحث في ذلك ما هو إلا اهتمام بثقافة المجتمع، وبفلسفته في الحياة، باختلاف مستوياتها الاجتماعية، والاقتصادية التربوية والدينية وحتى الإعتقادية.

فإذا انطلقنا من دراسة المثل الشعبي ،كأحد أشكاله ، نجده يمثل حكمه وفلسفة الشعب النابعة من الواقع الاجتماعي. كما إنه يمثل خلاصة تجاربه ،وما يمر به من خبرات وإرهاصات الحياة الاجتماعية، ويترجم ذهنية ومستوى فهم أفراد المجتمع للعالم الخارجي، إن المثل الشعبي يعتبر جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي، الذي يتداوله ويحفظه أفراد المجتمع جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية، ليأتي المثل الشعبي

بذلك في مقدمة أشكال التعبير الأدبي المذكورة آنفا، كونه الأقدر على تصوير العلاقات الاجتماعية المعاصرة وأقرب في التعبير عن التناقضات الحياتية المتداخلة.

بحيث يقوم بدور هام في الحياة، ويؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على السلوك الإنساني، يكشف أبعاد الشخصيات ومواقفها وأفكارها المتناقضة والمتوافقة، بحيث نجده يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات ومواقف متغيرة، سواء كان السلوك فرديا أو جماعيا، فاهتمام المثل بالسلوك هو اهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص، والجماعات، كما أنه لا يهتم بالظاهر من السلوك فقط، وإنما يعمل على إبراز الدوافع السلوكية الكامنة لدى الأفراد، حسب طبيعة المجتمع ونفسيته، وعن طريق المثل يمكننا التعرف على المستوى الإعتقادي للمجتمع الذي قد يصعب علينا معرفته بوسائل أخرى. ويمكننا التعرف على نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع.

وفي هذا الدعم تتجلى صور التعامل مع المرأة ككيان للمجتمع التقليدي معها أشكال من التعامل التي تجعلها في مرتبة أدنى من الرجل،والتي تعد دليل على مكانتها فيه ،حيث تجد دلائل الرفض وتمظهراته الأساسية في عدد من الممارسات التي تحمل الأمثال جزءا منها كمترجم لثقافة المجتمع ومنها إعلان رفضها عند ولادتها أنثى بينما يقابل المولود الذكر بالفرح،كما تعمل هذه المجتمعات على التمييز بين الذكر و الأنثى في عملية التربية فيربى الذكر باللين و تربى الأنثى بشدة حيث تلقن مجموعة من القيم و المعايير الاجتماعية المتنوعة والتي تقيدها في حدود الوجود الأنثوي الفيزيقي ،وحصر علاقاتها الاجتماعية والتي لا تتعدى حدود محيطها الأسري إلا في حالة انتقالها إلى الحياة الزوجية، و تعتبر هذه الخطوة الأهم في حياتها خوفا من أن تتجاوز سن الزواج فتوصم بالعانس تلك الوضعية المرفوضة اجتماعيا ،فكيف يتمظهر الرفض الثقافي للوجود الأنثوي عبر الأمثال الشعبية الجزائرية التي تم جمع بعضها للتحليل ؟

1. مناسبة الميلاد حسب طرح الأمثال الشعبية الجزائرية:

الملاحظ أن مناسبة الميلاد تعد إحدى المناسبات التي ينتظرها أفراد الأسرة بفرح وسعادة، خاصة إذا كان المولود ذكرا، ففي إطار المجتمع التقليدي يظهر أن الاهتمام بمعرفة جنس المولود يزداد أكثر، والفضول سيكون من طرف الجميع بداية من الأم إلى الأب فالأهل، وقد يأخذ الذكر النصيب الأكبر في هذا التوقع، بينما إذا كان المولود (أنثى) فإن ذلك يعد خيبة أمل الجميع، لأن التوقع لم يكن في محله، فهو غير مرغوب فيه، أول خيبة ستمس الأم، فبميلاد الأنثى، خاصة إذا كان الميلاد متكررا (إناث)، قد تفقد مكانتها، والعكس إذا كان المولود ذكرا، وهذا يدل على أن ميلاد البنت في العائلة الجزائرية التقليدية يتم في سكون تام، فالأب عندما لا يسمع الزغاريد التي تعلن عن ولادة الذكر يتوجه غالبا إلى المقهى ليعزى[1]، فما ابعد الزغاريد المرتبطة بميلاد الذكر عن العزاء بميلاد الأنثى، إنهما قطبان متنافران ،وهي إحدى مظاهر بداية التمييز بين الجنسين كما سنرى، هذا التمييز الذي تفرضه عادات المجتمع الجزائري، فيتمسك بها أفراده أشد

التمسك، ولذلك نجد أن الأهل يتلهفون لمعرفة جنس المولود، خاصة جنس الذكر، بحيث يقوم الأهل والأقارب بإطلاق الزغاريد التي تهلل بمقدم هذا الوافد الجديد والمرغوب فيه.

أما الوافد الغير مرغوب فيه بميلاده يخيم الحزن، والنساء اللواتي يردن الزيارة لـــلام يقلن لها وكأنهن يعزينها " مبروك على الصهر" هذا الذي سيرتبط يوما ما بالفتاة[2] ،وتذكرنا هذه المظاهر بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم[3]، ويعني ذلك أن ميلاد الفتاة كان منذ حقب طوال غير مرغوب فيه (العهد الجاهلي)، لأنها تمثل العار، والأمثال الشعبية الجزائرية كإحدى الآليات المدعمة لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري التقليدي، تحفل بجزء من هذه المظاهر المحبذة لميلاد الذكر دون الأنثى.

فتقول الأمثال عند ميلاد الأنثى مبروك طفلة مقامرة يماها ،يقال مجاملة للأم، مهنئين إياها بمولد من ستكون معينة ومساعدة لها على أشغال البيت عندما تكبر ، وقد تتجدد المجاملة للام المنجبة للأنثى فرحة ولا دامت وطفلة ولا عاشت ونلاحظ أن المثلان موجهان للام التي أنجبت فتاة وقد تكون في حالة عدم رضى بميلادها، فيتوجه لها المهنئين بالمجاملة إلى ما قد تجنيه مستقبلا، عندما تصبح لها سندا وعونا على مشاغل البيت الكثيرة.

حتى وإن بدت هذه الأمثال في ظاهرها مجاملة لميلاد الأنثى، إلا أن طريقة إيرادها تبين أنها ستواجه مجتمعا رافضا لوجودها يلقاها متجهما حزينا، يمارس من خلال رفضه لها عنفه على كل أنثى مدركة[4]، وأول الإناث المدركات هي الأم التي بدورها تتمنى أن يكون مولودها ذكرا، وتخشى ميلاد الأنثى، إن هذه المظاهر لا تعدوا أن تكون وأدا مقنعا، فالمرأة فيما مضى كانت تتعرض لوأد جسدي (طبعا في العصر الجاهلي) بغية التخلص من العار الذي قد يلحق بأهلها، ولكن باستعراض وضع أو مكانة المولودة في المجتمع الجزائري التقليدي، نجدها تتعرض لوأد معنوي (أو لفظي: لماذا بنت وليس ذكر؟) فبماذا نفسر التهجم والحزن الذي يخيم على البيت بميلادها، والفرح والسعادة عند ميلاد الذكر، وفي هذا الجو التفاضلي تبدأ بوادر التمييز بين الجنسين (ذكر / أنثى).

2. التمييز بين الجنســـن :

لا نعني في هذا الإطار الفصل المجالي بين الجنسين (عالم رجالي/ نسائي)، بل نعني ذلك التمييز الفيزيولوجي على أساس الجنس، الذي يبدوا أنه تمييز ثقافي واجتماعي أكثر منه بيولوجي وقد رأينا مظاهره لحظة الميلاد، قبل أن يعي كل جنس ذاته، وفي مراحل النمو المتوالية يتلقى كل جنس طرق معاملة مختلفة، وقد تبدوا هذه المعاملة في إعلاء مكانة وشأن جنس (الذكر) على حساب مكانة وشأن جنس (الأنثى)، ذلك أن التمييز بين كلا الجنسين، ينسج في إطار العلاقات الاجتماعية وبالممارسات الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع التقليدي تحدد قواعد للسلوك وفق عادات وتقاليد المجتمع المتفق عليها، وقد تقوم الأم وكل

المحيطين بالأبناء على غرس مفهومي الذكورة (مكانة عالية) والأنوثة (مكانة متدنية) على مسمعهم في سن مبكرة، حتى قبل أن يعي الأبناء معنى جنسهم والأمثال كجزء من الخطاب الشفوي، المدعم للعادات والتقاليد تحمل إشارات عن الفصل بين التأنيث كصفات وحالات متخيلة يتمثلها الجسد الأنثوي، والتــذكير كصفات وحالات متخيلة يتمثلها الجسد الذكوري، ويدل المثل الشعبي" كلمة لالا ذكر وكلمة إيه أنثى " و " الكلام أنثى والجواب ذكر " عن المعنى الفصل بين الجنسين، يلاحظ أن هذه الأمثال تستعمل للتعبير عن ذلك الإنسان الرافض والمحتج على أوضاعه السيئة، لكن مدلوله الحقيقي يعني مفهوما اجتماعيا قائم على احتقار صفة " الأنوثة " حتى قرن ذلك بالكلمة المنطوقة (إيه أو نعم = أنثى)، وقد يرتبط ذلك أكثر بما توسم به الأنثى من طاعة وخضوع، وتبعية في إطار القيم والمعايير الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع التقليدي، بينما (لا لا او لا = الذكر) مقترن بالرفض والاحتجاج والثورة، هذه المفاهيم الاجتماعية هي من إنتاج المجتمع التقليدي الأبوي، الذي يمثل فيه الذكر هرم السلطة والأنثى قاعدته، وقد يتجلى مظهر الاحتقار في أمثال أخرى" نهار ديك خير من عام دجاجة " بحيث أن الذكر يتعالى عن صفات الأنوثة، ولا يتمنى أن يكون خاضع ضعيف أو خانع كالأنثى التي تمثل هذه الحالات، لأن جنسه يمثل المعاكس، يمثل القوة والتفوق والعلو، ونتصور من خلال هذا المشهد الذي جسده المثل الذكر(الديك) يمشي ورأسه شامخا يمثل الأنفة والرفعة، وأنثاه خاضعة، تضع الرأس بين الكتفين إلى الأسفل، دليل المكانة المتدنية، والحقيقة أن هذه الممارسات (الأنفة / والخضوع) لا ترتبط بجنس معين، وبالتالي فإن المظاهر التي تجسدها الأمثال ما هي إلا إعادة إنتاج ما تضمنته العادات والتقاليد الجزائرية التي تضع الاختلافات بين الجنسين ،فالبنت تولد طبيعية، ثم تتعلم لحظة ولادتها كيف تصبح أنثى...إن الفتاة تتعلم أن تجلس وتضم ساقيها ... تخجل من جسمها، ثم تنتظر دورها السلبي كإمرأة[5]، إنها جنس تابع، لا يحقق أي أهداف دون الذكر.

كما أننا نلمس درجة الرفض الاجتماعي لجنس الإناث في مثل آخر" طفية فوق طبسي خير من طفلة فوق كرسي" الطفية تعني مخلفات أو فضلات ما احترق من السجارة، تقابلها صورة فتاة جالسة فوق كرسي، المفاضلة لمن تكون ؟ طبعا هي للصورة الأولى (طفية) وليس للثانية (فتاة) كذات واعية، ما من شك أن المثل يحمل مغزى، إنه يتناول كما رأينا جانب رفض ميلاد الأنثى وتفضيل الذكر إنه تلميح بوجود نوع من التمييز بين الجنسين، يفضل فيهما جنس يمثل مكانة عالية (الذكر) وجنس (أنثى) يمثل مكانة متدنية، وهو تعارض بين السلبية والإيجابية، بين الضعف والقوة، رغم أن علم الجينات والكروموزمات قد أثبت أن الضعف والسلبية اللذين ينسبهما المجتمع إلى طبيعة المرأة ليس لها أساس علمي، بل إنه يتضح أن تكوين المرأة من الناحية الجسمية يعطي لها فرصا أكبر من الرجل من حيث متانة التكوين أو الإيجابية في الحياة، وبالتالي فإن فكرة سيادة الرجل على المرأة لأنه الجنس الأقوى أو الإيجابي ليست إلا من صنع المجتمع[6].

ذلك المجتمع الذي اتخذ وسائل وأساليب مدعمة لما صنعه، والأمثال هي إحدى هذه الوسائل المدعمة لعادات وتقاليد المجتمع التقليدي التي تفصل أو تضع التمييز بين الجنسين .لتنتقل الأمثال أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، فتزيد من درجة التمييز بين الجنسين وكذلك تزيد في هامشية ودونية مكانة المرأة.

وكما يقال فإن للقاعدة استثناءات، بحيث وجدنا مثلين يخالفان منطلق الأمثال التي تضع أو تحمل نوع من التمييز بين الجنسين، لكنها قليلة، المثل الأول يقول"حمدة خير من أحمد" يقال عندما تقوم امرأة بما عجز عنه الرجل، لكن دلالة المثل تهدف إلى إغاظة الرجل الذي يفشل عن القيام بأمر ما، قد تقوم به المرأة (حمدة) رمز الضعف والخنوع، مقابل الرجل رمز القوة والتسلط فكيف له أن يعجز أو يضعف، فلا مجال لضعف الرجل (لا يبكي كالمرأة، لا يشتكي، لا ولا...) فما عليه في هذا الإطار إلا تحمل السخرية التي جعلت أو ستجعل من المرأة تأخذ دوره في تحمل الصعاب.

وفي المثل الثاني نلمس نوعا من التفضيل لإنجاب الإناث وتفضيلهم على الذكور وكأنه يناقض ما جاءت به الأمثال السابقة، يقول" البنات والخيل والإبل هما خيار الكسيبة، البنات يحبوا التفاصيل من كل حاجة جديدة، والخيل يحبوا القراسي ولا يشور ماضيه حديدة، والإبل تحب البواصر وتقصد البلاد البعيدة " المعنى الذي يتضمنه المثل جمع ثلاث أنواع في الكسب وساوى بينها، كسب البنات والخيل والإبل، والكسب يعني الامتلاك وفي الماضي كان من يمتلك إبلا وخيلا يعد رفيع المقام ولديه ثروة كبيرة، وبالتالي فإن امتلاك الإناث يعتبر كذلك ثروة، خاصة إذا كانت تربيتهن جيدة، يكون الأب من خلالهن محل مدح من طرف المجتمع الذي يفضل الإناث ذوات السمعة الطيبة والشريفة في سلوكهن وتصرفاهن، وكل ذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تتلقاها من محيطها العائلي.

3. التفاضل في تربية الفتاة في الأسرة الجزائرية التقليديـــــــــة :

إن ما جاءت به الأمثال في هذا الإطار هو في الحقيقة يدعم فكرة التفاضل في المعاملة التي يخضع لها الجنسان، والتي تبدوا مختلفة أشد الاختلاف في ظاهرها العام ذلك أن التمييز بين الجنسين في المجتمع العربي الإسلامي، يؤسس لازدواجية سوسيولوجية حادة، عالمان، مملكتان، نظرتان متعاكستان للأشياء، حياة الحريم، حجز النساء، الحجاب، مفهوم العورة، كل ذلك يمأسس الفصل بين الجنسين، ويسعى إلى تثبيت النظام وإحكام الحواجز[7] وهكذا نجد أن تنشئة وتربية الفتاة تتبع مجموعة من القيم والمعايير الأخلاقية والدينية السائدة في المجتمع، والتي تفرض على الفتاة أنماطا من السلوكات والتصرفات تسير وفقها لتكون شخصيتها الأنثوية، التي تجعل منها شخصية "وديعة، خجولة، مطيعة، بدون أي فضول نحو الخارج، وتعود على الاحتمال، وذلك إعدادا لها لليوم الذي ستجد فيه نفسها محرومة من الحنان الأبوين في بيت غريب[8].

والأمثال الشعبية كأحد الوسائل والأشكال المدعمة للعادات والتقاليد الجزائرية تحمل جزءا من مبادئ التربية الخلقية والدينية التي تخضع لها الفتاة في إطار المجتمع الجزائري التقليدي ومن هذه المبادئ نجد:

أ.التشدد والتصلب في تربية الفتاة: إنه أول منهاج يتبع في تربية الفتاة، والذي يعكس الأساليب المتبعة أثناء التعامل معها ترافقها طوال فترة تنشئتها وتربيتها، والأمثال الشعبية كالمرآة العاكسة لهذه الطرق من التعامل، تبين لنا مدى التشدد الذي تتبعه العائلة أثناء تنشئة وإعداد الفتاة، فتقول "الطفلة حكها كالحلفاء، ولي بقى منها ينكفى" و" الطفلة حطها تحت الصحفة وإذا شاط منه طريف حكه بالحلفاء "، نلمس من خلال المثلين أن هناك تشدد في التعامل مع الفتاة والمترجم في لفظ " الحك " وذلك لجعلها تتقبل الأوامر والنواهي دون اعتراض، فالفتاة تعامل منذ طفولتها المبكرة بنوع من التشدد والتصلب، وهو أول مبدأ تربوي تلجأ إليه العائلة تمهيدا لما ستعد عليه الفتاة لاحقا بحيث تتعود على الخضوع للآخرين[9].

وليتم ذلك يشترط أن تكون الفتاة "مطيعة، خاضعة، عاقلة، ممسكة، نشيطة ومتواضعة، لا ترفع صوتها أبدا [10] ،ولن ترسخ في ذهنها هذه المبادئ إلا إذا انتهج معها الأهل أسلوب التشدد والتصلب لتنشأ على فكرة الخضوع الدائم حسب طرح الأمثال الشعبية.

ب.حرمانها من التعليم: حيث كان المنزل أهم مجال تتعلم فيه كل ما يخص النساء، وكل ما تدربه لها الأم من أشغال وأعمال منزلية، وهذه ميزة النسق التقليدي الذي حرم المرأة من حقها في التعليم وهي نظرة قاصرة فضلت عدم تعليم النساء أبدا خاصة مبادئ الكتابة لأنها قد تؤدي إلى الإطلاع على الفواحش وتبادل المراسلات[11] ،إن التعليم في الحقيقة، يساهم في تغيير وضعية المرأة وترقية مكانتها، فالنسق التقليدي ونتيجة لما كان يمر به من ظروف وأوضاع (الجهل، الاستعمار...) كان يحرم الفتاة من هذا الحق خاضعا في ذلك لسلطان العادات والتقاليد التي استعملت الأمثال لتدعيم مبدأ حرمان الفتاة من التعليم وذلك على سبيل النصح" ما تعلم بنتك حروف ما تسكنها غروف " ويبدوا المثل مستند إلى قول لعمر بن الخطاب، يقول فيه لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالعرى، وعودوهن " لا " فإن " نعم " تجرؤهن[12].

ج.الرقابة المستمرة على كل سلوك يبدر منها حيث تعمل العائلة الجزائرية التقليدية على بث العديد من القيم التي تجعلها في الظل وتحضر للزواج كوظيفة أساسية ومنها قيمة الاحتشام في سلوك وتصرف الفتاة بحياء منذ الصغر كأهم القيم المرغوب فيها، ولذلك يعمد الوسط الاجتماعي إلى اكتسابها نوع معين من المواقف وتجسيد عدد من المفاهيم كالحشمة، الطاعة، والحرام ...فحسب الأمثال " المرأة بلا حياء كالطعام بلا ملح" إن المرأة التي لا تستحي ينظر إليها بنظرة شك وارتياب، كيف نتصور الطعام دون ملح، لا شك أنه بدون مذاق، حتى أننا قد نستغني عنه، كحال المرأة التي لا تستحي قد تفقد مكانتها ولا يحترمها أحد، لأن النموذج الأمثل هو في المرأة التي يعتريها الحياء ولو كانت في مقام مدح وشكر : " بنت الأصل تحشم بالشكر ،فالحياء والحشمة سلوك يلازم الفتاة في كل تصرفاتها، وهذا السلوك لا يمكن أن تتميز به من تقوم بتصرفات منافية للآداب العامة " حيا بنت الرتاب غطات وجهها بذفارها "، ولنا أن نتصور مشهد هذه المرأة التي

أخذت طرف ثوبها ورفعته لتغطيته وجهها، ويشير المثل إلى انكشاف العورة من أجل تغطية الوجه، وهو دليل على إدعاء ما لا يمكن أن تتميز به من تأتي أفعالا مشينة، لأن الحياء صفة مكتسبة، ولاكتسابها وجب على الفتاة أن تلتزم في تحركاتها الحشمة والتستر، والحياء، وغض البصر، وفتور الطرف، وأن تحجب حسنها بما لا يدع فرصة لإثارة الرغبة الجنسية عند الرجال[13].

وبالتالي فإن سلوك الفتاة يكتسي أهمية بالغة في المجتمع التقليدي، فأثناء تربيتها تلزمها عائلتها بعدم إظهار زينتها " البنات يبقاو بغبارهم حتى يجي نهارهم " فتجمل الفتــاة هنا يرتبط فقط باليوم الذي تزف فيه إلى زوجها، وما عدى ذلك فإنه عيب وحشومة.

د.الخضوع والامتثال لأوامر الآخرين: حيث تتعلم الفتاة منذ نعومة أظافرها كيف تلبي مطالب أفراد عائلتها دون اعتراض وهي بذلك تحاكي تصرفات أمها، فلقد تربت على الخضوع والامتثال لأوامر الآخرين، خاصة أوامر الأب، لأن الطاعة تمثل الخضوع المطلق للسلطة الأبوية[14]، ويتم تلقينها قيمة الطاعة بأساليب مختلفة، ومنها الأسلوب المتبع، في الأمثال الشعبيــة، بالترغيب والإرشاد، وهكذا يلفتون انتباهها إلى أهمية أن تكون مطيعة، فتقول الأمثال "فاطمة عاقلة ما تتكلمش" وهذا لأنها تتميز بالطاعة التامة للأوامر، وأيضا" فلانة ظبية، حنة، خفة، وظرافة " أو " فلانة صبية، حنة، خفة، وظرافة " وهكذا فما على الفتاة إلا الانصياع للأوامر والامتثال لما يقوله الآخرون، والظرافة والخفة والطاعة تعد جزء من سلوكها اليومي، بل أكثر من ذلك، عليها أن تكون صبورة، إن لم يكن الصبر طبيعتها الثانية أو السلوك الأساسي الذي وجب أن تتصف به لأن" النساء هما معدن الصبر".

إن بث هذه الأفكار والمبادئ أثناء تنشئة الفتاة يبين شدة الحزم والانضباط اللذين تربى عليهما الفتاة بحيث تكيف عقليا خلال الطفولة والبلوغ على أن تظهر دائما الخضوع والطاعة وفقا لتعريف دور الأنثى التقليدي وهكذا فإن التنشئة الاجتماعية القائمة على التبعية عند المرأة تعوق تحقيق الذات [15]،وعليه فإن هذه القيم تعدها للحياة المستقبلية، حياة الزوجة المطيعة والخاضعة لزوجها ولأهل زوجها.

ه.ضبط السلوك والتصرف الملائم: بحيث لا تكون ثرثارة أو كثيرة الكلام، أو ترفع صوتها كالرجل، فهذه الأوصاف تعد خروجا عن المألوف، فإذا قررت كالرجل، أو كان كلامها جادا ومرتفعا كالرجل اعتبرت خارجة عن حدود القالب الأنثوي، ووسمت بـ" المسترجلة " " عيشة راجل "، وبالتالي فإن المجتمع يطالبها بالرزانة في التصرف، فهو بذلك "يزيد من ضغطه على المرأة حينما يعزز فيها الضعف في الشخصية، حيث توسم بأنها " مسترجلة " إذا ما كانت قوية الشخصية لا تأبى الضييم [16] وهكذا فالمرأة تظل دائما خاضعة لمراقبة شديدة لسلوكاتها، وكل ذلك من أجل أن تسير في خط ما تمليه العادات والتقاليد الاجتماعية.

كما أن عليها أن تكيف سلوكاتها على حسب ما يمليه الآخرون، فلا تكون متسرعة حتى لا تثير انتباه من هم حولها، فيسخرون منها " قلنا حويذقة طارت هي قاع "، عليها أن تكون هادئة ورزينة، ولا تتدخل

في شؤون الغير، او فيما لا يعنيها " أحمد ياكل الدهان وعيشة تتقيأ " لا تـفشي أسرار الناس ولا تحشر نفسها فيما لا يخصها، فالفضولي قد يزيد الامر سواء : " لي فيه يكفيه وإذا زدتيه راكي تعميه ".

بالإضافة إلى ذلك، فإن الأمثال تصف حال التي من الممكن أن تلاقي نفس مصير من حاولت إذاء غيرها، وعادة توجه هذه الأمثال على سبيل النصح " كيما درت يالحزينة يندارلك " والشر حتما يعود على فاعله " ياصبرا الجرح يبرا وكلام الشر ما يبرى " أو" كلشي يبرا يا هبرا غير كلام العار ما يبرى ".

وتشير الامثال إلى أن ما يهم في الفتاة ليس شكلها الجميل والمزين، بل يهم فيها جانب التصرفات والسلوكات الملائمة " قالك الزين لا زين الفعايل "، وتعطي للدين والأخلاق الأهمية الأكبر في قياس حسن سلوك الفتاة، فتقول الأمثال "الفايدة ما هي في الزين، الفايدة في الخلق والدين"، لأن الجمال الروحي وحسن السلوك، والتصرفات اللائقة ترضي الجميع.

ويبدوا أن المجتمع لا يثق في تصرفات الفتاة، وعليه فإنه يلزمها في كل مراحل عمرها بنظرة نقدية مستمرة ومتواصلة فـ" ما يعجبك نوار الدفلة في الواد عامل ضلايل وما يعجبك زين الطفلة حتى تشوف الفعايل " والملاحظ هنا أن الفتاة قد شبهت بنبات الدفلة الذي يتميز بمنظر زاهي وجميل بينما مذاقه مر لا يحتمل، وهذا يؤكد على أن الجانب التربوي للفتاة (سلوكا وتصرفا) بعيد عن المظهر الخارجي الذي يعجب الناظرين، وعليه فإن الجانب الشكلي في الفتاة لا يمثل أي قيمة مقارنة بما ستكون عليه تصرفاتها وسلوكاتها أو الجمال الروحي.

و.قيمة العفة والشرف: والتي تتضمن صون العرض والطهارة وكثيرا ما كان التشدد في تربية الفتاة يهدف إلى ذلك، أول من يقوم بصون الشرف هو الرجل، لأن الأمثال قد تسخر من الذي لا شرف له " لي ما عندوش النيف يستهل ضربة بالسيف "، فالنيف هنا لا يعني المدلول المادي العضوي في الوجه " الأنف " وإنما النيف (NIF) يعني الشرف، ونلاحظ أن مجمل القيم التي تطرقنا إليها سابقا تهدف إلى صون العرض بالدرجة الأولى، لأن المرأة التي تخرج عن إطار الأصول والمبادئ التربوية السابقة قد تفقد شرفها وشرف عائلتها، فتجلب العار والفضائح لأن" كل سايبة عايبة "، إن تربية ومعاملة الفتاة التي تبث فيها الشعور بالعار والخزي يعتبر من أعمق العمليات تأثيرا في العلاقات الإنسانية، وتبدأ أهميته بصفة خاصة في نمو الطفل وخصوصا في المراهقة[17] ،فالفتاة عندما تظهر عليها بوادر النضج تكون قد تلقت مجموعة من المبادئ والقيم، ستسير وفقها، وستكون عفيفة، شريفة وطاهرة وهذا ما تتضمنه الأمثال"ظريفة، وعفيفة وعندها نفس شريفة " والعفة تعني بالدرجة الأولى عفتها الجنسية، لأنها تمس سمعة وشرف وحرمة العائلة، وتعتبر المرأة التي مارست الجنس قبل زواجها منبوذة ومحتقرة، مبتذلة وفاسدة، وذات سمعة سيئة، تعرض شرف العائلة للعار، وهذا يمكن أن يضع حدا لحياتها، لغسل العار الذي لحق بالعائلة والأقارب والمجتمع.

إن قيمة الشرف والعفة تعد من القيم التي يحث عليها الدين الإسلامي، وبالتالي فهي تكتسي أهمية بالغة في المجتمع الجزائري، تخص المرأة أكثر من الرجل فهذا الأخير إذا أتى أمرا يسيء للشـــرف فإنه لن يلاقي نفس الذي تلاقيه المرأة، لأن مفهوم الشرف عند المرأة يرتبط" بمفهوم العفة، أي ارتباطه بالمعنى الفيزيقي، وهنا يبرز مفهوم " العذرية " أي يجب أن تظل " عذراء " أو " بكرا " إلى حين أن تتزوج[18]، وهكذا فإن شرف وعفة الفتاة يعني حماية عذريتها إلى حين أن تتزوج، فلا تمرغ سمعة العائلة في التراب، لتصبح على كل الألسنة (القيل والقال) وكما يبدوا فإن المجتمع يهتم بما يتناقله الناس فيما بينهم. مفهوم الشرف في هذا المقام يكشف عن وجود مفارقات غريبة إذ لا ترتبط حساسيته بالإحساس بالذنب، أو الإثم كشعور يتعلق بالفرد لذاته، بضميره، وإنما هي ترتبط بالأساس بالخزي، أي بعلاقة الفرد بالآخرين، ومن ثم فإن أمرا مخلا بالشرف يمكن أن يمر بهدوء دون أن يسبب انزعاجا إن لم يصل إلى علم الآخرين، فما يهم ليس أن يكون الإنسان راضيا على نفسه، بل أن يحافظ على : " ماء الوجه[19]، فالتي تحفظ ماء الوجه هنا هي الفتاة إذ بقيت محافظة على عذريتها، لأن " العذرية هي أغلى ما تملك الفتاة يجب الحفاظ عليها إلى يوم زواجها، عذرية المرأة هي من حق الزوج فقط [20]، والقائم على هذه العملية هو الأب، الأخ، والأم، التي توكل لها في كثير من الأحيان هذه العملية، وقد وردت أمثال تناولت الجانب الفيزيقي لمفهوم الشرف نعتذر عن عدم ذكرها لأنها تضم كلمات بذيئة.

ونلاحظ أن إلزام الفتاة بضرورة الطهارة وصون العرض تتم خاصة عن طريق فرض الرقابة على سلوكاتها بداية من التمييز بين الجنسين إلى مجموعة المبادئ والقيم التي تحمل ممنوعات ومحرمات بموجبها يعدل سلوكها وتصرفها حسب ما تمليه العادات والتقاليد، ولكي يتم صون العرض فهناك قيمة أخرى تربى عليها، تلازمها إلى آخر أيام عمرها هي قيمة التستر والتحجب.

ي.الاحتجاب والتستر: حيث تقوم مفاهيم الاحتجاب والتستر والانعزال على فرض مجموعة من الحواجز والقيود على تصرفات وتحركات الفتاة بحيث يفوض عليها : " عدم خرق عادة التستر، الخروج إلى الشارع وحدها أن يراها غريب، أن تتحدث معه، أن يتبع خطاها رجل أو تتعرف عليه، أن تسرح شعرها أمام رجل، أن تظهر ذراعيها عاريتين[21]،إنها مطالبة بالاحتجاب عن عيون الرجال، وكل ذلك لتصون عرضها، فخروجها لن يتم إلا للضروريات القصوى مع رفيق كالأخ أو الأم أو الجدة.

فحسب العادات والتقاليد الجزائرية فإنه لا يجوز لها التجول بحرية في المجال المخصص للرجال، فالعزل والاحتجاب ماهو إلا أحد الأشكال التي تبرز مدى الفصل بين العالمين عالم خارجي وعالم داخلي وخـــروجها عنه يعد تعديا على شرف العائلة ومساس بالحرمة والنيف (NIF) وهكذا فإن المرأة في المجتمع الجزائري التقليدي هي قبل كل شيء المنسية المحظية، المصونة، والمخفية مقارنة مع الرجل الذي هو ظاهر، ذو حظوة ومتسلط[22]،وبذلك فإن الفتاة تنشأ منذ صغرها على عدم مخالطة الرجال وقد تخلق مختلف

الذرائع لتجنب الاختلاط، وفي نفس الوقت فإن ذلك يعني قلق الأسرة عليها، وتعبر الأمثال عن مدى قلق وتخوف العائلة من خروجها، ففي نظرهم" خنفوسة مدسوسة خير من ياقوتة تبان " فالمثل يعكس نظرة المحيط إلى أهمية أن تكون الفتاة محجبة، لأن ظهورها وخروجها يعرض عائلتها للشائعات ولذلك تعمد عائلتها إلى تقييد حريتها لإسكات من يحاول مسك سيرتها بالسوء فـ : " المرأة كيف المشموم وين تمشي تششع ريحتها " دليل شيوع وانتشار الأخبار جميلها ورديئها، وقد لا يقف التحجب والتستر عند حد اعتزال مجال الرجال الغرباء، بل يعني حتى ستر الجسد عن أعين أفراد عائلتها (الأب، الأخ، العم...)، فالاعتزال يعني أن تقتصر مخالطتهن عند بلوغهن لسن الرشد على بنات جنسهن فقط، أما التحجب من جهة أخرى فهو وضع غطاء على الرأس والوجه لإخفاء الشعر والجزء الأسفل من الوجه، في الأساس لم يكن التحجب سوى رمز للعزلة[23].

وقد تحمل أمثال أخرى صيغ عن تجنب المرأة " للعين" خاصة إذا كانت جميلة " المليحة تدرق روحها من العين والشينة تشطن المارين" فهو في الحقيقة يحمل مدلول التعدي على مجال الرجال وجلب انتباههم، ومهما كان شكل المرأة (مليحة/شينة)، فإن مكانها الأصلي هو في البيت، وراء الستار لتجنب العيون التي قد تعرض حرمة العائلة للعار.وبذلك لم يكن لديها أي حق في استعمال المكان المخصص للجنس الآخر، والواقع أن مجرد وجوها في مكان لا يجب أن تكون فيه، يشكل عملا هجوميا بما أنها تزعزع النظام الاجتماعي، وتقلق راحة فكر الرجل بدفعه إلى اقتراف الزنا[24]،وتعتبر هذه القيم من بين أهم القيم التي تناولتها الأمثال الشعبية في جانب التربية الخلقية والدينية من أجل تدعيم وتأكيد ما تضمنته عادات وتقاليد المجتمع الجزائري.

4. المرأة والعنوســـة: تعلن ثقافتنا أن الفتاة تعد منذ الصغر لهدف واحد هو الزواج وإنجاب الأطفال بحيث تغرس في ذهن البنت منذ الصغر قيمة الزواج باعتباره (المستقبل) الذي ينتظرها، والذي يجب أن تعدّ له مبكرا [25]، لتعيش جزءا كبيرا من طفولتها في البيت بين النساء اللواتي يقمن بإعدادها لهذا الدور، محمّلة بعدّة مبادئ وأصول وقيم تربوية تتعلّق أساسا بقيم الطاعة والخضوع، المهارة وإجادة مختلف النشاطات والحفاظ على السمعة والشرف، إلى أن يتم زواجها ،فالزواج بالنسبة للمرأة هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق أو احتلال مكانة معتبرة [26]، فهو يمثل العلاقة الوحيدة التي تضمن سترها وانتقالها من وضع اجتماعي إلى وضع آخر " الزواج سترة " حسب منظور الأمثال الشعبية، إنه يحقق لها الاستقلالية عن عائلتها، والعادات والتقاليد الاجتماعية تضفي على الزواج أهمية كبيرة، لتنتقل إلى الفتاة مختلف الأفكار المتعلقة بأهمية الزواج، فهي محصورة في إطار الإعداد للزواج منذ الصغر، فإذا لم تحقق هذا الهدف، ستعيش أجواء من الصراع والتناقض النفسي والاجتماعي بل والإقصاء الاجتماعي إذا ما تعرضت لعنوسة مؤبدة، كيف يفسر وصف المرأة بالعانس، لو لم يكن للزواج والإنجاب أيضا أهمية كبيرة في المجتمع حسب ما تطرحه الأمثال الشعبية

كإحدى الآليات المدعمة للعادات والتقاليد الاجتماعية، ونلاحظ أن الأمثال تتوجه مباشرة إلى الفتاة بنصحهـــا وترغيبها في الزواج والإنجاب معا، لتجتنب ما تمقته العادات والتقاليد الاجتماعية" اتزوجي لا يقولوا بايرة وأوليدي لا يقولو عاقرة " فالعنوسة وكذلك العقم يعدان من الصفات المكروهة التي تمقتها وتنفر منها عادات وتقاليد المجتمع الجزائري التقليدي والأمثال تحمل إشارات ودلائل عن مدى استكراه المجتمع لمثل هذه الصفات، وتنشأ الفتاة متشبعة بهذه القيم التي " تنقشها الأسرة ويصقلها المجتمع في ذهنها، وتسيطر عليها لدرجة اقتناعها أن دورها في الحياة يتحدد بالزواج والقدرة على الإنجاب، وتتضاءل بقية الأدوار في عينها[27]، فالقيم التي تحملها الأمثال والموجهة إلى الفتاة تدعم بشكل كبير فكرة أن المرأة المتزوجة في وضع أحسن من المرأة العازبة، وهكذا فإن الفتاة تعيش هاجسا نفسيا واجتماعيا مقلقا إذا ما جاوزت السن المتفق عليه اجتماعيا للزواج، وإذا كان الزواج يمثل قيمة اجتماعية يرغب فيها المجتمع ويدعوا إلى ضرورة التزامها، فإن المرأة تأخر زواجها تعتبر دون فائدة، أو تمس مكانتها في الصميم فتكنى بالعانس (أو البايرة) طيلة مدة بقاءها دون زواج، وبالتالي فإن المرأة العانس هي المرأة التي إذا : " كبرت وعجزت في بيت أبويها، أو إذا طال مكثها في منزل أبويها بعد إدراكها، حتى خرجت من عداد الأبكار، هذا ما لم تتزوج، فإن تزوجت مرة فلا يقال عنست[28].

إن المرأة تعتمد على الزواج وهي ملزمة أو مضطرة للخضوع إلى ما تمليه العادات والتقاليد الاجتماعية، التي ترى في المرأة دون زوج عانسا (أو بايرة)، ويعتبر هاجسا نفسيا من جانب أنه يمس نفسيتها بالدرجة الأولى (إحباط، انعزال ...) وهاجس اجتماعي من خلال نظـــرة المجتمع إليها وما يطلقه من صفات توسم بها طوال حياتها (عانس، بايرة، بدون فائدة ...)، المرأة العانس التي تعيش هذا الهاجس أو الصراع، يزيد إعراض الخطاب عنها من التأثير على نفسيتها، فتحزن وتتألم ويمتلكها اليأس والإبتئاس وتصبح حساسة لكل كلمة تقال عنها[29]،أول صور هذه الحالة النفسية التي تعيشها هو انتظارها الدائم للعريس، وهذا ما تمليه العادات والتقاليد التي تفرض على المرأة انتظار الزوج ولو طال ذلك كل حياتها دون زوج، كما تقر بذلك الأمثال الشعبية" اقعدي في عشك حتى يجي واحد ينشك "، وتضيف الأمثال بوصف ما تتعرض له المرأة إذا ما حاول أهلها خاصة الأب عرضها للخطاب أو الرجال، فإذا بهم يعرضونها لشر العنوسة، وبالتالي فإن هذه العروض تعتبر مرفوضة من وجهة نظر المجتمع أو حسب ما تمليه عادات وتقاليد المجتمع، التي تزيد الأمثال الشعبيـــة تدعيمها" كل معروضة مبخوسة " ،والتي لا تجد إقبالا عليها وتبور، وفي هذا حط كبير لقيمتها، ولكرامة أهلها، الأمر الذي يسبب لهم الهم والكدر[30] ، وقد يلجأ الأهل إلى تدارك الوضع بمحاولة تزويج الفتاة التي جاوزت سن الزواج لأول عارض الزواج منها حتى وإن كان كبيرا في السن، أو أرمل وله أطفال ... إلخ، وقد تتعرض إلى ما لم يتوقعه الأهل، فيندمون بعد فوات الأوان، حتى يتمنون لو بقيت في البيت على هذا الزواج التعيس الذي ألحق بها وبهم الفضائح والمشاكل وتشفي

الأعداء فيهم وفي حالها، إنها وضعيات كانوا في غنى عنها كما يقولون من خلال المثل التالي " القعدة ولا زواج العدى "، ونلاحظ أن هذه الأمثال تذهب كنصائح عامة لكل من يستعجل زواج البنت خوفا من عنوستها وما سينجر عنه الزواج المتسرع " قعاد بيت بوها ولا زواج الفضائح "، فرغم أن العنوسة مرفوضة اجتماعيا، إلا أنها تفضل على ما سينجر عنه الزواج التعيس.

وتظهر المرأة من خلال مثـــل آخر مفضلة للعنوسة على الزواج الغير موفق عندما تقول " قعادي في الجبانة ولا زواج الهانة "، يأتي المثل على لسان المرأة التي تجرعت مرارة الزواج الغير موفق أو الذي أدى بها إلى الطلاق، إنها تفضل العنوسة على ما ستكابده من مشاكل وفضائح إثر زواج فاشل، فالعنوسة وإن حطت من قيمة ومكانة المرأة فهي حسب الأمثال أفضل من تعرضها لزواج يعقبه طلاق وفضائح.

وقد يحدث العكس، عندما توفق العانس في آخر المطاف وبعد طول انتظار بزوج يسترها ويخلصها من هاجس العنوسة، فتصور الأمثال جزءا من انقلاب الحال بعد صراع نفسي واجتماعي إلى فرح وحظ سعيد : " البنت إذا بارت على سعدها دارت ".

وتواصل الأمثال في عرض هذه الصور بشكل يظهر ساخرا من استعجالها على الزواج حتى قبل إيفاء شروطه" قبل الفاتحة زغردت رابحة "، رغم أن عادات المجتمع تفرض على العروس الالتزام والتصرف بشكل تبدوا فيه خجولة، أي مقيدة الحركات، لا يمكنها أن تزغرد أو تبدي أي تصرف مثير للانتباه، وبالتالي المثل يسخر من حال هذه المرأة التي طال انتظارها، وقبل قراءة الفاتحة زغردت بنفسها دون وضع اعتبار للمحيطين بها، كما أن الأمثال تعرض حال المرأة الأكثر تلهفا على الزواج نتيجة لما تعانيه أثناء عنوستها، وقد يؤدي بها الأمر قبل أن تخطب إلى التحضير للزواج ولما يحتاج له من متطلبات على أمل أن يأتيها رجل يتزوجها ويسترها" وجدت الماء والحطب والراجل ما خطب "، وتظل المرأة تتمنى وتترجى ذلك ولن تصدق الأمر إلا إذا كانت مع الرجل المنتظر، فنتيجة لحالة اليأس والإبتئاس التي تعيشها ترى في هذه الأمنية بعيدة التحقيق، وهذا جزء من الصراع النفسي والاجتماعي الذي تعيشه المرأة حسب ما تصوره الأمثال الشعبية : " ما نصدق إلا ما نعنق " و أيضا " ما نقولش راجلي حتى يشدني من شبشوبة راسي ".

إن الأمثال تصور المرأة في صورة التابع دائما، ترى في الرجل كل شيء لحياتها وبدونه لا قيمة لها، نظرا لما يوليه المجتمع من أهمية للزواج، إلى درجـــة أنها تحبذ رجلا وهميا (ناقص) : " زوج من عود خير من العقود "، أفضل بكثير من بقاءها عازبة أو عانس، فالمرأة كما يبدوا " مضطرة أن تعتمد على الزواج، وبدونه يعتبرها المجتمع عانسا (وليس للرجل الذي ظل عازبا مثل هذا اللقب السلبي) وعالة وموضوع سخرية أو شفقة أو كليهما معا[31]، وتتجسد سخرية المجتمع من المرأة العانس عند إدعاءها كثرة الخطاب لها في الأمثال التالية " في عمري خطبني عبزوزي " قد يكون هذا الرجل أحسن من كل الرجال

كما تدعي أو " نكسل كراعي نجيب راعي " و " إذا مديت كراعي نجيب راعي "، ورغم وضعها المعروف، فهي تتعالى بنفسها، وتبين أنها بمجرد القيام بحركة بسيطة سيأتيها الراعي ذلك الوضيع في السلم الاجتماعي طالبا الزواج منها، لكنها حتما ترفضه، المثل يشير إلى حقيقة أخرى، تتمثل في عدم وجود من يرغب فيها، إنه يكشف عن خيبة الأمل التي منيت بها المرأة التي فاتها قطار الزواج، إن الواقع الذي تعيشه المرأة هو واقع مليئ بالصراعات والتناقضات النفسية والإجتماعية، واقع يجعل منها منزوية ومنطوية كالذي فقد كنزا لا يعوّض" تقعد حزين شنوف " يشف المثل عن الحالة النفسية التي تمر بها العانس فإذا سئلت عن الزواج تحس بنوع من الإحباط وقد تنطوي على نفسها، تظهر عليها علامات الحزن والأسى واليأس، وذلك كله نتيجة لما يوليه المجتمع من أهمية للزواج، إن الزواج يعتبر المصير الوحيد لها اجتماعيا، إن المرأة لا تختار بين الزواج أو عدم الزواج، ولكنها يجب أن تتزوج، وإلا فإن المجتمع لا يقبلها ولا يحترمها، وفوق ذلك لا يعتبرها امرأة طبيعية[32].

ويتجسد جزء من عدم الاحترام في طريقة المعاملة التي قد تتعرض لها في بيت أهلها -خاصة- تتعرض للسخرية والنبذ وكثير من المشاكل المتعلقة بوضعها الذي لا يتقبله الأهل لأنه يجلب لهم سخرية المجتمع عامة، فضغط المجتمع على عائلة الفتاة التي يتجاوزها سن الــزواج، يجعلهم هم بدورهم يضغطون عليها في طريقة التعامل معها " ما تخرج حراير حتى تشيع معاير " فبقاء المرأة خارج إطار الزواج الشرعي يسيء إلى المركز الاجتماعي للعائلة لذا يفضلون الانغلاق عليها، ومعاملتها بشكل يسيء إلى نفسيتها.

في كثير من الأحيان يفسر المجتمع أسباب عنوسة الفتاة لغلاء مهرها أو إلى كثرة الشروط التي يضعها الأهل عقبة في طريق الخطاب، حتى إذا تعرضت الفتاة إلى العنوسة، فتصورها الأمثال الشعبية نادمة على تفويتها فرصة الزواج " خطبوها تعززت خلوها تندمت " وقـد يجعلها الندم حائرة بين أقرانـــها أو مثيلاتها اللواتي تزوجن وتسترن في بيوت أزواجهن " حايرة ياحايرة بين أقرانك بايرة " ونظرا لأهمية الزواج، فإن البعض من الأفراد يلجؤون للدعاء لها من أجل فك عقدتها " العنوسة " " الزين سعدك " وقد تطلقه العجائز للفتيات اللواتي بدون زواج عامة ويقال كذلك للرجال.

يبدوا من خلال ما استعرضناه سابقا أن الفتاة العانس تعيش حياتها كشيء مهمل تابع كليا للبيت إلى أن يتخلص منها عن طريق الزواج كعلاقة اجتماعية تضمن سترها وذلك من منطلق أنها غير مفيدة، وغير منتجة، بل هي عالة على أهلها ودون زواج يمكن أن تسيء لمركز عائلتها، ويستهزئ أحيانا بالحال الذي تكون عليه العانس، وتعطي الأمثال دلائـــل عن الاستهزاء من وضع العانس عندما تقول" مشى للبايرة تسحر له " أو " جيتي للبايرة تسحر لك "، المعتقد أن من يمتلك زمام السحر يستطيع حل مختلف المشاكل خاصة منها المشاكل الشخصية، فكيف اللجوء إلى العانس من أجل أن تسحر أو تعمل سحرا لمن يلجأ إليها، دون إفادة نفسها بالضرورة، لأن العنوسة جعلت منها مسخرة للجميع.

فالعانس كما يبدوا لا يرجى منها أي فائدة أو إنتاج، أو شيء نافع ولن يتم ذلك إلى بدخولها في إطار الزواج الذي يمنحها المكانة الاجتماعية وفي الأخير رغم ما تطرحه الأمثال السابقة عن المكانة الاجتماعية للعانس والحالة النفسية والاجتماعية المفروضة عليها من قبل الأهل والمجتمع، فإن المجتمع يفضل عنوستها أو يفضل المرأة العانس على المرأة المطلقة أو الثيب، وذلك نتيجة لما يوليه المجتمع من أهمية لقيمة العذرية والمطلقة أو الثيب تلاحقها الإشاعات والفضائح أينما حلّت وذهبت بينما العانس وإن بدت الأمثال ساخرة من وضعها، لكنها في نظر المجتمع أحسن وأفضل من الثيب كما تقر الأمثال بذلك " دور الدورة ولو دارت وخذ البنت ولو بارت "، فالأفضلية حسب المثل تكون للبنت حتى وإن عنست وبارت.

خاتمة:

لقد كشفت الأمثال الشعبية الجزائرية التي حصرناها في جانب المكانة الاجتماعية التي تحتلها الفتاة في وسطها الأسري أنها تعمل على تدعيم وحفظ ما تقره عادات وتقاليد المجتمع التقليدي في مختلف المظاهر التي تمر عليها الفتاة بداية من الميلاد إلى غاية الزواج، والأمثال الشعبية كجزء من النسق الثقافي عملت على إبراز واقع الفتاة من خلال هذه المظاهر، أهمها مظهر الميلاد فالتنشئة الاجتماعية وفق معايير وقيم معينة إلى غاية انتقالها لبيت الزوج، مظاهر تعقلت بالمجتمع التقليدي الذي يحبّذ إتباع أصول وقيم اجتماعية تخضع لسلطان العادات والتقاليد الاجتماعية متخذة الأمثال الشعبية كوسيلة لبث مختلف القيم والمعايير التي يرتضيها المجتمع التقليدي.

ونصل إلى أن خطاب الأمثال الشعبية يؤكد أفضلية الرجل على المرأة ،وهذا ما تتضمنه الثقافة الجزائرية ،وتتجلى مظاهره في صور الرفض والمعاملة الدونية للوجود الأنثوي في المجتمع الجزائري المنتج للأمثال الشعبية والمحافظ على استمراريتها بأشكال أخرى.

وبذلك يظهر أن المثل كذلك يعد من بين أكثر أنواع التعبير الشفهي صدقا وقدرة على تصوير أنواع من العلاقات الاجتماعية السائدة بين الأفراد ،وتعد وسيلة من وسائل الضبط والقهر الاجتماعي، لها دور أساسي في تكوين ودعم البنية أو النسق الثقافي والاجتماعي.

قائمة المراجع:

.1 Lacoste Dujardin (Camille), Des mères contre les femmes, Alger, Edition, Bouchen, 1990, p 58.

.2M’rabet (Fadella), La femme Algérienne, Paris, Librairie François Maspero, 1964, P 82.

3.سورة النحل، الآية 58.

4.حمداوي محمد، " وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري "، مجلة إنسانيات، وهران، CRASC، العدد 10، جانفي-أفريل 2000، ص 18.

5.السعداوي نوال، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1990، ص 38.

6.نفس المرجع، ص 52.

7.بوحديبة عبد الوهاب، الجنسانية في الإسلام، تر محمد علي مقلد، تونس، سراس للنشر، 2000، ص 254.

.8Lacoste Dujardin (Camille), Ibid, p 63.

9و10. منسي جولييت، المرأة في العالم العربي، تر : إلياس مرقص، بيروت، دار الحقيقة، ط1، 1981، ص 47.

11.بوحديبة عبد الوهاب، نفس المرجع، ص 255.

12.بن هدوقة عبد الحميد،، أمثال جزائرية، الجزائر، 1992،ص 173.

13.حمداوي محمد، نفس المرجع، ص 14

1. .14Toualbi (Radia), Les attitudes et les représentations du mariage chez la jeune fille algérienne, Alger, ENAL, 1984, p 77.

15.الخولي سناء، الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1984.، ص 248.

16.أحمد حسن حفصة، أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001، ص 344.

17. حسن محمود، الأسرة ومشكلاتها، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص 326.

18.شكري علياء وآخرون، المرأة والمجتمع، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 252.

19.صبار خديجة، صبار خديجة، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، المغرب، أفريقيا الشرق، 1999 ، ص 14.

.20Lacoste Dujardin (Camille), Ibid, P 72.

.21 Zerdoumi (Nafissa), L’enfant d’hier, Paris, Edition Maspero, 1982, P P 261-262.

.22 Khoudja (Souad), A comme Algérienne, Op-cit, P 160.

23.برنامج اليونسكو، الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ص 262.

24.المرنيسي فاطمة، الجنس كهندسة اجتماعية،تر: فاطمة الزهراء زريول ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي، ط2، 1996.، ص 130.

25.أحمد حسن حفصة، نفس المرجع، ص 344.

.26Lacoste Dujardin (Camille), Le conte kabile, Paris, Lébrairie François Maspero, 1970, p 347.

27.دياب فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت ، دار النهضة العربية،1980 ،ص 55.

28. حمور عرفان، المرأة والجمال والحب في لغة العرب، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة، ص 1998، ص 344.

29.دياب فوزية، نفس المرجع، ص 250.

30.أحمد حسن حفصة، نفس المرجع، ص 344.

31.بركات حليم، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1986، ص 188.

32.السعداوي نوال، نفس المرجع، ص 267.